رِسَالَةٌ فِي

أَرْكَانِ الإِيمَانِ شَرْعًا

عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ

جَمْعُ

نزار حمَّادي

دار الإمام ابن عرفة

تونس

رِسَالَةٌ فِي

أَرْكَانِ الإِيمَانِ شَرْعًا

عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ

جَمْعُ

نزار حمَّادي

دار الإمام ابن عرفة

تونس



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الذي بعث نبيَّنا محمَّدًا ﷺ رحمةً للأنامِ، واختصَّهُ بشريعةٍ سَمْحَةٍ مشتمِلةٍ على الحِكَمِ والأحكامِ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، المَلِكُ القدُّوس السَّلامُ، وأشهد أنَّ سيدنا محمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ ورسولُه أفضَلُ الأنام ومصباحُ الظلام ورسولُ المَلِك العَلَّام، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الكرام وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائما إلى يوم الدين.

أما بعدُ، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ**»(١)، يشيرُ بذلك إلى أنّ اللهَ بفضله وكرَمِه قد خصَّهُ بالفصاحة وقوَّاهُ ببيانٍ يمكِّنُه أن يُضمِّنَ معانيَ كثيرةً في ألفاظٍ قليلة، ولذا اتفق العلماء المعتبَرون على أنَّ كُلَّ

(١) أخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ ﷺ بَحْرٌ مِنْ بِحَارِ الحِكْمَةِ، وَلَوْ تَأَمَّلَهُ الْعَالِمُ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَمْ يَنْقَطِعْ فِيهِ نَظَرُهُ طُولَ عُمْرِهِ، ولم يتوَقَّف من استخراج فوائده الجَمَّة الدينية والدنيوية.

قال الإمام السنوسيُّ (ت٨٩٥هـ): كلامُ مَنْ أوتِيَ جوامعَ الكَلِم ﷺ لا يُحاطُ بفوائده، يُنْفِقُ فيه ذُو السَّعَة في العلم على قَدْرِ سعَتِه، ومَنْ دُونَهُ على قَدْرِه، والكلُّ لم يُحَصِّلوا من ذلك البحر الزاخر الذي لا يُحاطُ بأبعاده إلا ما هو في النِّسْبة كنُقْطَةٍ أو أقلَّ منها إلى العالَم كلِّه[1].

ومن أعظم أحاديث النبيِّ ﷺ الجامعةِ لأنواع العلوم والمعارف والآداب حديثُ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي اشتمل على بيان أركان الدين من الإسلام والإيمان والإحسان.

(١) مكمل الإكمال، (ج١/ص١٣٦)

فعَنْ عُمَرَ بن الخَطَّابِ ﵁ قال: بَينَمَا نَحْنُ جلوس عندَ رَسولِ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، إذْ طَلَعَ علينا رَجُلٌ شَدِيدُ بياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرى عليهِ أثَرُ السَّفَر، ولا يَعرِفُهُ مِنّا أحدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النَّبيِّ ﷺ فأسنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيه على فَخِذَيْهِ، وقالَ: يا مُحَمَّدُ، أخبِرني عَنِ الإسلامِ. فقال رَسولُ الله ﷺ: «**الإسلامُ: أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتِيَ الزَّكاةَ، وتصومَ رمضَانَ، وتَحُجَّ البَيتَ إن استَطَعتَ إليه سبيلاً**». قال: صَدَقتَ، قال: فَعَجِبنا لَهُ يسأَلُهُ ويصدِّقُهُ.

قال: فأخْبِرني عَنِ الإيمان. قال: «**أنْ تُؤْمِنَ باللهِ**[1]، **وملائِكَته، وكُتُبِه، ورُسُلِهِ، واليَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ**». قالَ: صَدَقتَ.

قالَ: فأخْبِرنِي عنِ الإحْسَانِ، قال: «**أنْ تَعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يراكَ**». قال: فأخبِرني عَنِ السَّاعةِ. قال: «**مَا المَسؤُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قال: فأخبِرني عنْ أَمارَتِها؟ قال: «**أنْ تَلِد الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ تَرى الحُفاة العُراة العَالةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلونَ في البُنيانِ**».

---

(١) «الله» اسم علَمٌ على الذات الموصوفة بصفات الألوهية والربوبية، ومعنى الألوهية: استغناءُ الإله عن كل ما سواه، ومعنى الربوبية: افتقار كل ما سواه إليه، وصفات الألوهية أحد عشر صفة وهي: الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه تعالى سميعًا وبصيرًا ومتكلِّمًا، إنِ عُدِمَت منها واحدة لم توجَدِ الألوهيَّة. وصفات الربوبية تسعة وهي القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، وكونه تعالى قادرًا، ومريدًا، وعالما، وحيًّا، والوَحْدَانِيَّة، وإن عدمت منها واحدة لم توجد الربوبية.

ثُمَّ انْطَلَقَ، فلبثْتُ مَليًّا، ثمَّ قال لي: «**يا عُمَرُ، أتَدرِي مَنِ السَّائل؟**» قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ. قال: «**فإنَّهُ جِبريلُ أتاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُم**»(١).

قال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ): هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائِف العبادات الظاهرة والباطنة: مِنْ عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبةٌ منه، وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاث أَلَّفْنَا كتابنا الذي سميناه بـ«**المقاصِد الحسان فيما يلزم الإنسان**»؛ إذ لا يَشُذُّ شيءٌ من الواجبات والسُّنَن

---

(١) مسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة. (ص٣٣)

والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاث[1].

وقال القاضي شمس الدين الهَرَوِيُّ (ت٨٢٩هـ) : «هذا الحديث يشتمل على جميع أركان الشريعة إجمالًا، فهو بمنزلة فاتحة الكتاب في القرآن، فيجبُ تقديمُه على الكلِّ؛ إذ الجميعُ تفصيلُ ما أُجْمِلَ فيه وبيانُ ما اندرجَ تحتَهُ»[2].

ولمّا كان المقصود من هذه الرسالة بيان أركان الإيمان، اقتصرنا على إيراد ما قالَهُ جَمْعٌ مِن الأئمة الأعلام فيما يتعلق بذلك من البيان، فنقول وبالله التوفيق:

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (ج١/ص٢٠٤ ـ ٢٠٥)

(٢) فضل المنعم في شرح صحيح مسلم (ج١/١٥)

*** قَوْلُهُ ﷺ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّـهِ[1]».**

قال الحافظ تقيُّ الدين بنُ الصَّلاح (ت٦٤٣هـ): «هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطنُ؛ إذ قوله: «أَنْ تُؤْمِنَ» معناه: أن تُصدِّقَ»[2].

قال الإمام سراجُ الدين بن الملقِّن (ت ٨٠٤هـ): الإيمان لغة التصديق مُطلقًا، وشرعًا: التصديقُ بالقواعد الشرعية: من وجوب وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته وصفاته الثابتة له، وتنزيهِها عن سمات الحدَث والنَّقْصِ[3].

---

(١) قدّم الإيمان بالله تعالى لأنه ما لم يثبت أنّ للعالَم صانعًا قادرًا على جميع المقدورات، عالِمًا بجميع المعلومات، غنيًّا عن كل الحاجات، لا يمكن معرِفَةُ صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكانت معرفة الله تعالى هي الأصل، فلذلك قدم الله تعالى هذه المرتبة في الذكر في قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥].

(٢) صيانة صحيح مسلم، (ص ١٣٢)

(٣) المعين على تفهّم الأربعين (ص٨٨)

قال الشيخ إبراهيم الشَّبْرَخِيتِيُّ (ت١١٠٦هـ): الإيمان لغةً: مطلق التصديق، سواءٌ كان مطابقًا للواقعِ أمْ لا، وسواءٌ تعلَّق بحكمٍ شرعيٍّ أمْ لا، واصطلاحًا: تصديقُ النبي ﷺ في كلِّ ما عُلِمَ مجيئُه به من الدين بالضَّرُورَةِ: مِنَ التوحيد، والبَعْثِ، والجزاء وغير ذلك، تفصيلا في التفصيليِّ، وإجمالا في الإجمالي، فمَنْ عُلِمَ اسْمُه كجبريلَ وجبَ الإيمان به عينًا، ومَنْ لم يُعلَم اسْمُه آمَنَّا به إجمَالا، وكذلك الكُتُبُ والأنبياء والرُّسُل.

والمراد بالتصديق: الإذعانُ والقَبُولُ، لا مجرَّد نِسْبَةِ الصِّدْق له ﷺ لئلا يلْزَمَ الحُكْمُ بإيمانِ كثيرٍ مِن الكُفَّار الذين كانوا في زمَنِه ﷺ، فإنهم كانوا يعرفون حقيقة نبوَّتِه

ﷺ إلا أنهم لم يُذْعِنُوا ولم يَقْبَلُوا ما جاءَ به[1]، قال تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾[البقرة: ١٤٦]، ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [النمل: ١٤][2].

---

(١) فلا يتحقق التصديق الشرعي إلا بثلاثة أمور: الأول: المعرفة والتجلي لحقيقة ما عُلِمَ بالضرورة مجيء المصطفى به بحيث لا يتطرق إلى شيء منه احتمالُ النقيض بوجهٍ، الثاني: حديث النفس التابع للمعرفة، والثالث: الاستسلامُ والانقيادُ والإذعانُ لما جاء به الرسول بمعنى قبول الأحكام والرضا بتبعيته. ولفقد ذلك حُكِمَ على كثير من أهل الكتاب وغيرهم بالكفر مع أنهم كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ويستيقنون أمره إلا أنهم لم يرضوا بصيرورتهم من أتباعه، بل استكبروا ولم يذعنوا فلم يكونوا مصدقين.
ولمّا كان الإيمان أمرا باطنيا لا اطلاع لنا عليه ناطه الشرعُ ثبوتا وانتفاءً بأمور ظاهرةٍ تدلّ عليه، ففي الثبوت ضبطه بالتلفظ بالشهادتين وما في معناه، وفي الانتفاء نيط بظهور أمارات التكذيب كالسجود اختيارًا للشمس أو للصنم، أو الاستخفاف بالنبي أو الكعبة أو إلقاء مصحف بقذر ونحو ذلك. فلابد في حكمنا على الشخص بالإيمان من النطق بالشهادتين أو ما في معناه وانتفاء الأمارات المذكورة.

(٢) شرح الأربعين النووية (ق٥٤/أ)

قال الإمام أبو العباس القرطبي (ت٦٥٦هـ): الإيمانُ بالله هو التصديقُ بوجوده تعالى، وأنه لا يجوزُ عليه العدمُ، وأنه تعالى موصوفٌ بصفات الجلال والكمال: مِن العِلْم والقدرة والإرادة والكلام والسَّمع والبَصَر والحياة، وأنه تعالى منزَّهٌ عن صفات النَّقْص الَّتي هي أضدادُ تلك الصفات، وعن صفات الأجسَامِ المتحيِّزاتِ، وأنه واحدٌ فَرْدٌ صمدٌ خالِقٌ جميعَ المخلوقات، متصرِّفٌ فيها بما يشاء من التصرُّفات، يفْعَلُ في ملكه ما يريد، ويحكمُ في خَلْقِهِ ما يشاء [1].

وقال الإمام تاج الدين الفاكِهاني (ت٧٣٤هـ): معنى الإيمان بالله: الإيمانُ بوجوده وقِدَمِه وبقائه، وأنه ليس بجوهر ولا جِسم ولا عرَض، وأنه ليس مختصًّا بجهةٍ، ولا

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (ج١/ص١٣٩)

مستقرًّا على مكانٍ، وأنهُ مرئيٌّ، وأنه واحِدٌ، وأنه حيٌّ عالِمٌ قادرٌ مريدٌ سميع بصير متكلِّمٌ، منزَّهٌ عن حلول الحوادِث، وأنه قديمُ الكلام والعلم والإرادة، وأنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله تعالى، وأنها مكتسبةٌ للعباد، وأنها مرادةٌ لله تعالى، وأنه متفضِّلٌ بالخَلْق، وأنَّ له تكليفَ ما لا يُطاق، وله إيلامُ البَرِيءِ، ولا يَجِبُ عليه رِعايَةُ الأصلح، وأنه لا واجبَ إلا بالشَّرْع[١].

(١) المبين في شرح الأربعين، (ص ١٥٣)

* **قوله ﷺ: «وَمَلَائِكَتِهِ»**[1].

قال الشيخ إبراهيم الشَّبْرَخِيتِيُّ (ت١١٠٦هـ): الملائكةُ أجسامٌ لطيفة نورانية أُعْطِيَتْ قدرةً على التشكُّلِ بأشكال مختلفةٍ[2]، تقْدِرُ على أفعالٍ شاقَّةٍ لا يقدر عليها البشر،

(١) قال الإمام فخر الدين: إنه سبحانه وتعالى إنما يوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بواسطة الملائكة، فقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[الشورى: ٥١] وقال: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤] وقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٥] فإذًا ثبت أن وحي الله تعالى إنما يصل إلى البشر بواسطة الملائك، فالملائكة يكونون كالواسطة بين الله تعالى وبين البشر، فلهذا السبب جعل ذكر الملائكة في المرتبة الثانية، ولهذا السر قال أيضا: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[آل عمران: ١٨].

(٢) من ذلك أن جبريل عليه السلام كان يتمثل بشرًا كما في هذا الحديث، ولم يكن ذلك مختصا به لما ثبت من نزول الملائكة يوم بدر وأحد وحُنين وغيرها بالنصرة متمثلين بشرًا في صورة الرجال، ويشهد القرآن بأن الملكَ يتمثل بشرًا، قال الله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

وهم قسمان: قِسْمٌ شأنُهم الاستغراقُ في معرفة الحقِّ تعالى والتنزُّهُ عن الشغل بغيره، وقسمٌ يدبِّرُ الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاءُ وجرى به القدَرُ، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦][(١)].

قال الإمام السنوسي (ت٨٩٥هـ): معنى الإيمان بالملائكة: التصديق بوجودهم، وأنهم مخلوقون لله تعالى لا يشاركونه جَلَّ وعَلَا في قِدَمِه ولا في شيءٍ من صفات ألوهيته، وأنهم عبيدٌ لله تعالى ملازمون لذِكْرِه وطاعته وخشيته، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وبهذا وصفهم المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز. وكلُّ ما أَوْهَمَ في حقِّهم نقْصًا وجَبَ دَفْعُه أو تأويله كما يجب

---

(١) شرح الأربعين النووية (ق٥٤/أ)

ذلك في حق أنبياء الله تعالى ورسله على جميعهم الصلاة و السلام[1].

* **قوله** ﷺ: «**وَكُتُبِهِ**»[2].

قال الشيخ إبراهيم الشَّبْرَخِيتِيُّ (ت١١٠٦هـ): الكتابُ لغةً: ضمُّ الحروف الدالة على معنًى، بعضِها إلى بعضٍ، مصدر كتَبَ أي: جمَعَ. واصطلاحًا: ما أنزل الله تعالى على الأنبياء، إمَّا مكتوبًا على الألواحِ أو مسموعًا مِنْ وراءِ حجابٍ أو مِنْ ملَكٍ مشاهَدٍ[3].

---

(١) شرح واسطة السلوك.

(٢) قال الإمام فخر الدين: الكتب هو الوحي الذي يتلقفه الملَك من الله تعالى ويوصله إلى البشر، وذلك في ضرب المثال يجري مجرى استنارة سطح القمر من نور الشمس، فذاتُ الملك كالقمَر، وذات الوحي كاستنارة القمَر، فكما أن ذات القمر مقدمة في الرتبة على استنارته، فكذلك ذات الملَك متقدم على حصول ذلك الوحي المعبر عنه بهذه الكتب، فلهذا السبب كانت الكتب متأخرة في الرتبة عن الملائكة، فلا جرَم أخَّرَ الله تعالى ذكر الكتب عن ذكر الملائكة.

(٣) شرح الأربعين النووية (ق٥٥/أ)

قال الإمام علي النوريُّ الصفاقسِيُّ (ت١١١٨هـ): معنى الإيمان بالكُتُبِ: أن تصدِّقَ تصديقا جازمًا بوجودِها، وأنَّها كلامُ الله المنزَّل على مَنِ اجتباهُ لذلك مِن رُسلِه، إمَّا في ألواحٍ كالتوراة، وإما بواسطة المَلَك كالقرآن، وأنَّ جميع ما تضمَّنته حقٌّ وصِدْقٌ، وما نُسِخ منها فهو حقٌّ باعتبار وَقْتِه، فإنّ العمل به قبل النَّسْخِ واجِبٌ.

وإذا قلنا: إنَّ المراد بالكُتب جميعُ الوحي المنزَّل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فواضحٌ، وإن قلنا: المراد بالكتب المائة كتاب وأربعة كتب[١] فنقول: وكذا يجب الإيمان بما في معناها من جميع الوَحْيِ المنزّل على جميع الأنبياء، ما كان في خاصَّةِ أنفسهم، وما أمروا بتبليغه

(١) صحف شيث ستون، وصحف إبراهيم ثلاثون، وصحف موسى قبل التوراة عشرة، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن. ومعاني الكتب مجموعةٌ في القرآن، ومعاني القرآن مجموعةٌ في الفاتحة.

للخَلْق؛ لأنَّ الله جلَّ جلالُه يقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

ويُزَادُ في الإيمان بالقرآن الاعترافُ بأنه مُعْجِزُ النَّظْمِ، لا يَقْدِرُ أحدٌ على الإتيان بمِثْلِه، بل لو تعاونت الخَلْقُ كلُّهم لم يقدروا، وأنَّ ما لم يُنسَخْ منه وماتَ النبي ﷺ عنه كلّه محفوظٌ في مصاحف المسلمين، لم ينقص منه حرف ولا نقطةٌ ولا حركةٌ بنسيان ناسٍ ولا ضياعِ مكتوب ولا موت قارئٍ ولا كتمان كاتمٍ، ولم يُزَدْ فيه شيءٌ بتحريف أو غلط أو غشِّ غاشٍّ أو غير ذلك من الأمور المتوَهَّمَة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال

تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢].

ولا شك أنَّ هذه حُجَّةٌ ظاهِرَةٌ وآيَةٌ باهرة، فأقطار المسلمين جميعًا ـ عمّرها الله بتوحيده وعبادته ـ مع بعدها وسعة أرجائها لا تراهم يختلفون في حرفٍ، بل ولا في نقطةٍ ولا حرَكةٍ، فقد شاهدنا مَن هو من أقصى المشرق كالصين ومِن أقصى المغرب كشنقيط فجالسونا وقرأوا علينا ومعنَا ولله الحمد، فضلًا عمَّنْ كان من الأقطار القريبة كأهل اليمن والعراق والروم(١).

---

(١) الهدى والتبيين، (مخ/ص٩٧)

* **قوله ﷺ: «وَرُسُلِهِ»**[1].

قال الإمام علي النوريُّ الصفاقسي (ت١١١٨هـ): معنى الإيمان بهم التصديق الجازم بوجودِهم، وأنّ الله تفضَّل على عباده ببعثتهم، فَفِيهَا مصالِحُ الدين والدنيا والآخرة، ولولا بعثة الرُّسل ما اهتدى أحدٌ، ومَن زعم أن العقلَ يُغْنِي عن بعثتهم فهو كافرٌ؛ وكيف يكفي العقلُ والعقول محجوبةٌ عن رؤية الآخرة؟! والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يشاهدونَ ذلك، ومن لم يرَ ما يؤذيهِ ولم يصدِّق بوجوده فكيف يَحْذَرُ منه؟!

وأنهم صادقون في دعواهم الرسالة، وغير ذلك من جميع أقوالهم وأحوالهم وما يتعلق بالوَحْيِ والدين وغيره،

(١) قال الإمام فخر الدين: الرُّسُل هم الذين يقتبسون أنوار الوحي من الملائكة، فيكونون متأخرين في الدرجة عن الكتب، فلهذا السبب جعل الله تعالى ذكر الرسل في المرتبة الرابعة.

وأنَّ الله أكرمهم بظهور الخوارق القاطعة بصِدْقِهم، وأنهم معصومون من جميع الذنوب كبيرٍ أو صغيرٍ، قبل البِعْثَة وبعدها، لا يغلبهم الهوى ولا تميل بهم النَّفْسُ، ولا يقرب ساحتهم الشيطان.

وأنَّهم بلَّغوا عن الله ما أمرهم بتبليغِه ولم يتركوا شيئًا من ذلك، لا عمْدًا ولا نسيانا، إلى غير ذلك من أوصافهم، وقد حكمَ الله جلَّ جلالُه أنْ لا يُقْبَل الإيمان بِه إلا مع الإيمان برُسُلِه عليهم الصلاة والسلام[1].

* **قوله ﷺ**: «**وَاليَوْمِ الآخِرِ**».

قال الإمام علي النوريُّ الصفاقسي (ت١١١٨هـ): هذه القاعدة الخامسة من قواعد الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، والتكذيبُ به والشَّكُّ فيه كفرٌ؛ قال الله تعالى:

---

(١) الهدى والتبيين، (مخ/ص١١١)

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩] ، وآياتٌ كثيرة.

وسُمِّيَ بذلك لأنه آخر الأيام ولا ليل بعده، والمراد به هنا: يوم القيامة، وأوَّلهُ من النفخة الثانية إلى استقرار أهْلِ الجنة في الجنة وأهل النار في النار(١).

* **قوله ﷺ: « وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».**

قال الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): القَدَرُ بفتح الدال وسكونها لغتان، ومذهب أهل الحقِّ إثباتُ القدَر، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قدَّر الأشياء في القِدَم، وعَلِمَ سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى

(١) الهدى والتبيين، (مخ/ص١١١)

وفي أمكنة معلومة، وهي تقعُ على حسَب ما قدَّره سبحانه وتعالى[1].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): فكُلُّ مُحْدَثٍ صادِرٌ عن علمه وقدرته وإرادته ، هذا هو المعلومُ من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السَّلَفُ من الصحابة وخيار التابعين، إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة[2].

وقال الإمام تاج الدين الفاكِهاني (ت٧٣٤هـ): الإيمان بالقدَر: هو التصديق بأنّ ما قدَّرهُ الله تعالى في أزَلِه لابُدَّ مِن وقوعه، وما لم يقدّرهُ مستحيلٌ وقوعُه قطعًا، فكلُّ حادِثٌ في العالم فِعْلُه وخَلْقُه واختراعُه، لا خالقَ سِوَاهُ، ولا

---

(١) شرح الأربعين (ص٢٠)

(٢) فتح الباري.

مُحْدِثَ إلا إيَّاهُ، خَلَقَ الخَلْقَ وصَنَعَهُمْ، وأَوْجَدَ قدرتَهم وحركتهم، فجميع أفعال العباد مخلوقةٌ له[1].

❖ **خاتمة:**

قال الإمام أبو العباس القرطبي (ت٦٥٦هـ): مذهبُ السلف وأئمة الفتوى من الخَلف أنَّ من صدَّقَ بهذه الأمور تصديقًا جازِمًا لا رَيْبَ فيه ولا تردّد ولا توقّف كان مؤمِنًا حقيقةً، وسواءٌ كان ذلك عن براهينَ ناصعةٍ أو عن اعتقاداتٍ جازمةٍ[2].



---

(١) المبين في شرح الأربعين، (ص ١٥٥)

(٢) المفهم (ج١/ص١٤٥)



دار الإمام ابن عرفة
تونس